



ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: <https://lark.uowasit.edu.iq>



\*Corresponding author:

**Zainab Raad Ahmed Jassim**  
**Jamil Badawi Hamad Al-**  
**Zuhairi**

University: Wasit University  
College: College of Education  
for Human Sciences

Email:

[muntadher.alsaadi@yahoo.com](mailto:muntadher.alsaadi@yahoo.com)

**Keywords:**

Linguistic methods,  
persuasion, intimidation,  
Umayyad era.

**ARTICLE INFO**

**Article history:**

Received 24 May 2023

Accepted 20 Sep 2023

Available online 1 Oct 2023



## The Use of Linguistic Methods in Persuasion and Intimidation

### ABSTRACT

The central focus of our research is the utilization of linguistic techniques for persuasion and intimidation within the speeches of the Umayyad era. This dominance is primarily attributed to the significant presence of persuasion and intimidation topics, which are deeply rooted in the foundations of rhetorical language. The contextual framework occupies a significant position in achieving linguistic work, as its underlying idea is based on the nature of the relationship between the speaker and the listener.

© 2023 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss51.3110>

## توظيف الأساليب اللغوية في الترغيب والترهيب في خطب العصر الأموي

زينب رعد احمد جاسم/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم اللغة العربية/ أدب  
أ.د. جميل بدوي حمد الزهيري/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم اللغة العربية/ أدب

### الخلاصة:

خلاصة الموضوع الذي تناولنا فيه توظيف الأساليب اللغوية في الترغيب والترهيب في خطب العصر الأموي كان بسبب هيمنتها بشكل كبير وخاصة على موضوعات الترغيب والترهيب التي أساسها قوام اللغة الخطابية، ويحتل السياق المقامي الدرجة الأولى في إنجاز العمل اللغوي وفكرته الأساسية مبنية على نوع العلاقة بين الخطيب والمستمع. الكلمات المفتاحية: الأساليب اللغوية، الترغيب، الترغيب، العصر الأموي.

## المقدمة:

إنَّ الحديث عن أساليب التَّرهيب والتَّرهيب في خطب العصر الأمويّ يستدعي تناولها بحسب فعاليتها الخطابية التي جعلت أنماطاً منها مهيمنة بشكل لا يحتاج إلى إحصاء في موضوعات التَّرهيب والتَّرهيب التي أساس قوامها اللُّغة الخطابيَّة.

وإنَّما يذكر المشرع الإقناع؛ لأنَّ الطَّرف الآخر (الجمهور) فيه ميل عن صراط الخاطب، أو شكَّ في دعوى الخطيب، ممَّا يقرب الطَّرفين من نقطة الخصومة، وحبلة المجادلة، وهذا يعني أنَّ الحقيقة سيكون لها وجه واحد، وطريقة واحدة للوصول إليها، فيجهد الخطيب نفسه في ممارسة القول اللُّغوي، وبناء المعرفة في مجال القيم، تكون فيها اللُّغة وسيلة وغاية في هندسة التَّصوُّرات الفكرية والحكم عليها.

ويحتلَّ السِّياق المقامي الدَّرَجَة الأولى في إنجاز العمل اللُّغوي؛ إذ إنَّ فكرة المقام في البلاغة العربيَّة تمثَّل "عنوان العلاقة بين الخطيب والمستمع؛ فالبلاغيُّون العرب وإنَّ لم يهتموا كثيراً بالدراسة النَّفسية والأخلاقيَّة للمرسل والمتلقِّي، حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين"

ويرى السَّكاكي بأنَّ "مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التَّشكُّر يباين مقام الشُّكَاية، ومقام التَّهنئة يباين مقام التَّعزية، ومقام المدح يباين مقام الدَّم، ومقام التَّرهيب يباين مقام التَّرهيب، ومقام الجدِّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداءً يغيِّر مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السُّؤال يغيِّر مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكلِّ لبيب، وكذا مقام الكلام مع الدُّكي يغيِّر مقام الكلام مع الغبي، ولكلِّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثمَّ إذا شرعت في الكلام، فلكلِّ كلمة مع صاحبها مقام، ولكلِّ حدِّ ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال"

فالمقامات عند السَّكاكي أنواع مختلفة، منها يتَّصل بالمرسل ومنها ما يتَّصل بالمتلقِّي، وقد تكون بناءً على المقامات السِّياقيَّة بحسب حال الكلمة مع الأخرى. "والخطابة فن نثري شفاهي يقوم على مرتكزين: الأوَّل هو الإمتاع؛ لأنَّنا نعدّها فناً نثرياً قوامه الجمال اللُّغوي، والثَّاني هو الإقناع، لأنَّ غايتها الوصول بالمستمع أو المخاطب بشكلٍ عام إلى مرحلة الإذعان والاعتقاد بما يقوله الخطيب، اعتماداً على القول الذي ينبغي أن يكون حاملاً للمقولات الحجاجية المقنعة لدعوى الخطيب"

وقد ازدهرت الخطابة في العصر الأموي، وهناك أسباب عديدة أسهمت في ازدهارها ورقيتها، ومن بين هذه الأسباب نذكر، الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولاسيما الصراع القائم بين الأحزاب السياسية، منها حزب بني أمية، وهو الحزب الحاكم، وأحزاب المعارضة للحكم الأموي أبرزها: الخوارج، والشيعية، والزبيريون، ولكل حزب خطباء متمرسون يدافعون عن مصالح الحزب وحقه في الخلافة، وقد تصدى كل حزب من هذه الأحزاب للدفاع عن مبادئه وعقائده، ونظريته بالحكم ودحض حجج خصومه، والقضاء عليهم بما وسعه من وسائل في وسط هذا الصراع المستعر تلك الخصومات والمنازعات العنيفة، فكانت لهذه الأسباب دور كبير في الخطابة وازدهارها، ومن هذه الأساليب التي كانت لها هيمنه واضحة بالترغيب والترهيب في العصر الأموي، هي:

#### 1 - أسلوب الامر:

الأمر من الأساليب اللغوية الإنشائية، وذلك حين يخرج عن معناه الحقيقي الذي هو "طلب الفعل على وجه الاستعلاء" (الجارم، د.ت: 179)، إلى معانٍ بلاغية أخرى يقتضيها السياق، فيسمى طلب الأمر آنذاك بالمجازي، ويعدّ أسلوب الأمر في الخطب أسلوباً توجيهياً قائماً على مطلب الإذعان إلى تحقيق مضمون الرسالة؛ لأنه وضع بصيغته المعهودة في النصّ استعلاءً؛ إذ يتبادر إلى الذهن عند سماع الطلب بصيغة الأمر إلى فعل ذلك والتوقف عمّا سواه من خلال القرينة (القرويني، 1993: 143).

يعد أسلوب الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية التي اهتم بها النحويون والبلاغيون، وقد عرفه ابن فارس قائلاً: "الأمر عند العرب ما إذا لم يفعل المأمور سُمي المأمور به عاصياً ويكون بلفظ **أفعل** و**لُفعل**" (داود، د.ت: 73)، ومدار دلالة الأمر على الطلب، وما يحدّد طبيعة الطلب ودرجته ليس هو الصيغة المحدّدة، بل ملابسات الخطاب؛ كالعلاقة بين المخاطب، والمخاطب بحكم مكانة الخطيب الأمر لها، والغرض الذي يجري من أجله الأمر والتمثيل على هذه الآلية اللغوية هو الترغيب والترهيب في الخطب الأموية؛ لكثرة استعمالها فيها ويخرج أسلوب الأمر إلى أغراض مجازية كثيرة تُعرف من خلال السياق، وقد أشار إليها الخطيب القرويني قائلاً: "قد تستعمل - صيغة الأمر - في غير طالب الفعل بحسب مناسبة المقام كالإباحة، والتهديد، والتعجيز، والتسخير، والإهانة، والتمني، والدعاء، والالتماس، والاحتقار (داود، د.ت: 73).

ومن ذلك خطبة الإمام الحسين (ص) غداة اليوم الذي استشهد فيه فنلاحظ كيف استعمل أساليب الأمر في خطبته فقال: "يا عباد الله: اتقوا الله، وكونوا من الدنيا على حذر، فإنّ الدنيا لو بقيت على أحد، أو بقي عليها أحد، لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء، وأولى بالرضاء، وأرضى بالقضاء، غير أنّ الله تعالى خلق الدنيا للفناء، فجيدها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر، والمنزل تأنّة، والدار فلقة، فتزودوا، فإن خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلمكم تفلحون" (صفوت، دت: 41).

وتحدّد حجة الأوامر الطلبية بطبيعة العلاقة بين المرسل والمتلقّي، فكأما كانت العلاقة قوية متينة كانت قوّة حجة الأفعال قوية، وأكثر تأملاً في المتلقي، وما دام المرسل هو ولي الأمر: (الإمام الحسين(ص) - عبد الله بن مطيع - عبد الملك بن مروان)، فعلى المتلقّي السمع والطاعة بما تفرضه تلك المطالب (الرسالة)، من: مصداقية، وحسن نوايا، ومكانة رفيعة يحظى بها المرسل في الخطب السابقة، ومن: تأثير، وقبول، وقناعة فالنزام بها يُستدرج إليها المتلقي.

نلاحظ كيف استعمل الخطيب أسلوب الأمر في الأفعال: (اتقوا، وكونوا، وتزودوا) فكأها أوامر أصدرها المتكلم بموجب أنّه من يرجع إليه الأمر، والمخاطب بهذه الأفعال لا بدّ من أن يخضع لقول المتكلم/ الخطيب، فأفعال الأمر: (اتقوا - كونوا - تزودوا) تعمل عملها في المتلقي؛ لأنّ هذه الأفعال حجة تخدم نتيجة ضمنيّة، من قبيل أنّ ما يقوله الخطيب هو الأصح؛ لأنّه يأمر بأوامر مصدره قوله تعالى: ﴿تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (سورة البقرة/ 197)، وهذا ما يجعل أسلوب الأمر ينهض بفعالية الترهيبية أو الترهيبية في نفس المخاطب

وأيضاً هناك خطبة لعبد الله بن مطيع وهو تابعي ومن رواة الحديث النبوي الشريف. فقال في أحد خطبه المشهورة: "إن من أعجب العجب عجزكم عن عصبية منكم قليل عددها خبيث دينها ضالة مضلة اخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتلوهم عن مصركم وامنعوا منهم فينكم والا والله ليشاركنكم في فينكم من لاحق له فيه" (صفوت، دت: 57).

ففرى أنّ أفعال الأمر: (اخرجوا، وامنعوا المكررة، وقاتلوهم) جاءت في هذه الخطبة حاملة للدلالة الضمنية المتمثلة بالاستنفار للقتال، فالخطيب يستنفرهم للقتال، ويحدّثهم من التقاعس عن ذلك؛ لأنّهم إن لم يتبعوا أوامره فسوف يشاركونهم في فينهم من لاحق له فيه، فالأمر هنا يؤدي دلالة فعالة في الجمهور هي التحذير القائم على الترهيب.

ومن خطبة لسليمان بن عبد الملك التي نلاحظ فيها الكثير من أساليب الأمر فقال : "الحمد لله ألا إن الدنيا دار غرور، ومنزل باطل، تضحك باكياً، وتبكي ضاحكاً، وتخيف آمناً، وتؤمن خائفاً، وتفقر ثرياً، وتثري مقترراً، ميالة غرارة، لعابة بأهلها، عباد الله، فاتخذوا كتاب الله إماماً، وارتضوا به حكماً، واجعلوه لكم قائداً، فإنه ناسخ لما قبله، ولم ينسخه كتاب بعده، واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان، كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس، ظلام الليل إذا عسعس" (صفوت، دبت: 188-189).

وفي هذه الخطبة جاءت أفعال الأمر: (اتخذوا، ارتضوا، اجعلوا، اعلموا) وحملت هذه الأفعال الدلالة المتضمنة المتمثلة بالتمسك بكتاب الله القرآن الكريم، والعمل بتعاليمه والترغيب بأوامره ونواهيه، واستمد هذا الاقتباس من قول الله (Y): (وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ). (سورة التكوير/17-18)

وقد جاءت الأفعال في الخطب الثلاث على الأسلوب الإنشائي الطلبي بصيغة الأمر، وغرضه النصح والإرشاد مهما كان نوعه ترغيب أو ترهيب، فقد جاءت الأفعال على وجه الحقيقة، بتحركات السياق التي يُدَلَّ عليها بعدد من المؤشرات والتوجيه، أما المخاطب فهو المتلقي الذي يتوجّه إليه، ويستقبله بحسب مضمونه ترغيباً أو ترهيباً.

وكذلك نجد ذلك في خطاب معاوية مستعملاً أسلوب الأمر لترهيب الرعية، فقال في خطبته إلى احد الشخصيات التي امتنعت عن مبايعة يزيد , إذ يقول: "أما بعد: فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين، وإنّي لو قتلتك بعثمان لكان ذلك إليّ، لأنك ممّن ألب عليه وأجلب، وما معك منّي أمان فتظمنن به ولا عهد فتسكن إليه، فإذا أتاك كتابي هذا فاخرج إلى المسجد والعن قتلة عثمان، وبايع عاملي، فقد أعذر من أنذر، وأنت بنفسك أبصر، والسلام" (صفوت، دبت: 55).

لقد بني هذا الخطاب السياسي على أسلوب تعنفي بالغ الأثر في مجموعة من الأفعال الأمرية ذات انفعالات عديدة، قد ولدت علاقات جديدة، (فأخرج إلى المسجد، والعن قتلة عثمان، وبايع عاملي) غايتها الرئيسية تكمن في تخصيص الطاعة والانصياع للسلطة القمعية والطاعة لها إجباراً وكراهية؛ لأنّ دلالة هذه الأفعال تركز على حاكم يمارس عنفاً لغويّاً؛ ليزعزع قدرة الآخر في مواجهته، وليظهر نواياه السلطوية بالأفعال التوجيهية التي تفرض دوافع الحاكم، ومقاصده السياسية في العنف والترهيب، فيقوم على أفعال توجيهية تظهر غايتها الأساس في سعي السلطة إلى إخضاع الآخر لسياستها، ولهذا تضي على الخطاب لونها من العنف والإرهاب، وبذلك تظهر

دلالات تضمّنها الخطاب السياسي الدالّ على الترهيب والتهديد الممثل لصورة السلطة بدلالات انفعالية، وذلك بقول السلطوي معاوية راسماً صورة التهديد والتعنيف في خطابه السياسي؛ لعدم مبايعة ابنه يزيد بقوله: "فقد بلغني إبطاوك عن البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين، وإنّي لو قتلتك بعثمان لكان ذلك إليّ، لأنك ممن ألب عليه وأجلب وما معك مني أمان فتطمئن به ولا عهد فتسكن إليّ".

فقد فرضت هذه الأساليب اللغوية الكثيفة سيطرتها على الخطاب السياسي؛ لغاية قصدية تكمن في تعنيف المخاطب ابن عباس، وتخويفه من العواقب والتحذير منها، بقوله: "فقد أعذر من أنذر، وأنت بنفسك أبصر، والسلام"، أي: يهدّده ويحدّره من عاقبة المعارضة والوقوف ضدّ سلطته وحكمه، إذ تنطق أفعال الأمر هذه بقوة السلطوي وممارسته العدوانية التي تسهم بصورة رئيسة في التحكّم في الناس وترهيبهم

وما يمثّل ذلك أيضاً خطاب عبد الملك بن مروان بعد إيراد الخبر الآتي: "كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة الوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب، فكتب إليه "أن أعرضه على السيف فإن مضى فاجلده خمسين جلدة، وطف به أسواق المدينة" (صفوت، د.ت: 236).

لقد تأسّس هذا الخطاب السياسي على مجموعة من الأفعال الأمرية على وفق دلالات عديدة توّدي إلى ترهيب الناس، وكانت هذه الأفعال تدلّ على التسلّط والعنف، وذلك في نحو: (عرضه على السيف فإن مضى فاجلده خمسين جلدة، وطف به أسواق المدينة)؛ فهنا نلاحظ وظيفة هذه الأفعال الأمرية التي تسلب ذات المخاطب داخل سياق الخطبة، وذلك بتحويلهم إلى ذات خاضعة لسياسة البطش والعنف.

وكذلك نجد خطبة لعبد الله بن حنظلة الأنصاري بالمدينة لما كره أهل المدينة خلافة يزيد بن معاوية وبايعوه، فقال لهم في خطبته: "أيّها الناس إنّما خرجتم غضباً لدينكم، فأبلوا إلى الله بلائاً حسناً، ليوجب لكم به الجنة ومغفرته، ويحلّ بكم رضوانه، واستعدّوا بأحسن عدتكم، وتأهبوا بأكمل أهبتكم. فقد أخبرت بأنّ القوم نزلوا بذئ خشبٍ ومعهم مروان بن الحكم، والله إن شاء الله مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله (p)" (عطوان، د.ت: 88).

فنلاحظ في هذه الخطبة كيف استعمل الخطيب أسلوب الأمر لترغيب الناس بالقتال والوقوف ضدّ معاوية وجيشه، فنجد هناك كثيراً من أساليب الأمر في الخطبة منها: (أبلوا، وتأهبوا، واستعدّوا)،

ففي هذه الأفعال نلاحظ الخطيب قد استعملها من أجل ترغيب الرعية بالقتال؛ فهو يحثهم من خلال فعل الأمر ويطلب منهم أن يكونوا على استعداد دائم من أجل الوقوف ضد جيش معاوية .

وهناك أيضاً خطبة لسعيد بن جبير في يوم دير الجماجم وهو يريد الترغيب بالقتال، فقال: "قاتلوهم على جورهم في الحكم، وخروجهم من الدين وتجبرهم على عباد الله واماتتهم الصلاة، واستذلّاهم المسلمين" (عطوان، د.ت: 29).

استعمل سعيد بن جبير وهو أحد الشخصيات المهمة في تلك الحقبة أسلوب الأمر في خطبته، وخرج فعل الأمر هنا (قاتلوهم) إلى مخرج آخر؛ فهو هنا يريد ترغيب الناس بالقتال في سبيل الله، ويطلب منهم ويأمرهم أن يقاتلوا الذين خرجوا عن دين الله والسنة النبوية، فنرى أسلوب الأمر واضحاً في اللغة التي استعملها سعيد بن جبير .

## 2 - أسلوب النهي:

النهي من الأساليب اللغوية الإنشائية، فهو: "طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء"، فاللغة: "ليست وسيلة تواصل فحسب بل إنها - أيضاً - أداة تأثير في النفوس ووسيلة إقناع"، وقد ورد توظيف هذه الآلية في الخطب كثيراً؛ لقوة حجتها التأثيرية في النص، وأسلوب النهي عبارة عن قول يُنبئ عن المنع من الفعل على جهة الاستعلاء...، وقد يرد على جهة التهديد (العلوي، 1423هـ: 284) (الأوسي، د.ت: 465) (الأصبهاني، 1424هـ: 116) .

ويتفق أسلوب الأمر والنهي في أن كلّ واحدٍ منهما لا بُدّ فيه من اعتبار الاستعلاء، وأنهما يتعلّقان بالغير؛ فلا يُمكن أن يكون الإنسان أمراً لنفسه، أو ناهياً لها، وأنهما جميعاً لا بُدّ من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريداً لهما... ويختلفان في أن الأمر دالٌّ على الطلب، والنهي دالٌّ على المنع، ويختلفان أيضاً في أن الأمر لا بُدّ فيه من إرادة مأموره، وأنّ النهي لا بُدّ فيه من كراهية منهية (العلوي، 1914: 285-286).

ويعدّ النهي من الأساليب الطلبية التي تناولها كثيرٌ من البلاغيين، وقد أشار السكاكي إلى صيغته قائلاً: "لنهي حرف واحد وهو لا الناهية الجازمة قبل الفعل المضارع في قولك: لا تفعل، والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب" (الترمذي، 2014: 66).

فتفرض السلطة الحاكمة المستبدة لغة خطابها التواصلي الذي يناسبها على مخاطبين؛ لتركيز سيطرتها الإيديولوجية والسياسية، فاللغة ليست دائماً لغة تواصلية إقناعية واضحة، بل هي لغة تسلط وإضمار وإخفاء، ويعني هذا أن الحاكم قد يوظف اللغة الترهيبية في سياق خطابي محدد،

لتمويه الحقائق، وتحقيق الغايات والمقاصد التسلطية في فرض هيمنته السياسيّة، وحكمه التعسّفيّ بقوة لغة الخطاب وعنفه، وبذلك تمنح اللّغة قوّة السلطة والحكم السياسيّ للفئة الحاكمة (حمدادي، د.ت: 10).

ونرى كثيراً من نماذج الخطب في العصر الأمويّ نلمس فيها ترغيباً وترهيباً استعان فيها الخطيب بأسلوب النهي، ومن ذلك خطبة عبد الله بن يزيد: "إنّ المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يغشه، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا، وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم، ولا تستبدوا علينا برأيكم، ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا، أقيموا معنا حتى ننتسر وننتهيا، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا، خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم" (صفوت، د.ت: 62).

ففي هذه الخطبة جاءت أفعال النهي: (لا تفجعونا، ولا تستبدوا، ولا تنقصوا)، فالفعل الأوّل: (فلا تفجعونا بأنفسكم)، يحمل نتيجة ضمنية؛ وهي عدم خيانة المسلم لأخيه المسلم، والفعل الثاني: (لا تستبدوا علينا برأيكم)، يحمل نتيجة ضمنية؛ وهي عدم الاستبداد بالرأي، أمّا الفعل الثالث: (لا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا) فيحمل نتيجة ضمنية هي عدم الخروج عن الجماعة، فكلّ الحجج التي جاءت في الخطبة السابقة، تحمل دلالة ضمنية مستمدة من حديث الرسول: "المسلم أخو المسلم؛ لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: عرضه وماله ودمه، التقوى هاهنا، بحسب امرئ من الشرّ أن يحقرّ أخاه المسلم". رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ومثال على ذلك أيضاً خطبة لمعاوية في يوم شديد الحر، فضمّن خطبته بأية قرآنية تحتوي على النهي، إذ قال: "إنّ الله (ط) خلقكم فلم ينسكم، ووعظكم فلم يهملكم، فقال: يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون قوموا إلى صلاتكم" (صفوت، د.ت: 174-175).

ففي هذه الخطبة جاء فعل النهي (لا تموتن) حاملاً اقتباس من القرآن الكريم: (يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقّاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (آل عمران/ 102)؛ والتي تعني النصيحة لهم بتقوى الله ومخافته، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وشكر الله على نعمه، والتمسك بالدين حتى يأتي الموت وهم مسلمون.

وإذا تطرّفنا أيضاً إلى خطب عمر بن عبد العزيز فإننا نرى كثيراً من خطبه مشتملة على أساليب النهي، فقال في إحدى خطبه: "أيّها النّاس، لا تستصغروا الذنوب، والتمسوا تمحيص ما سلف منها بالتوبة منها، إنّ الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين، وقال الله (Y): ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَلْحَقُهُ إِذْ ذُنُوبُهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران/ 135) (صفوت، د.ت: 196).

فهنا استعمل الخطيب فعل النهي (لا تستصغروا الذنوب) حاملاً دلالة ضمنيّة مستمدّة من حديث الرسول (ﷺ) عن ابن مسعود: "يَا ابْنَ مَسْعُودٍ لَا تُحَقِّرَنَّ ذَنْبًا وَلَا تُصَغِّرَنَّهَ وَاجْتَنِبِ الْكِبَائِرَ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَظَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى ذُنُوبِهِ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ قَيْحًا وَدَمًا" (الطبرسي، 1331هـ: 105).

فالخطيب يرهبهم ويرعبهم من الاستهانة بصغائر الذنوب؛ لأنّ هذه الصغائر تمحي الكثير من الحسنات، وهناك خطبة للنعمان بن بشير الأنصاري بالكوفة التي تحتوي على مضمون الترهيب والتحذير، إذ خطب فيهم قائلاً: "أَمَا بَعْدَ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَلَا تَسَارِعُوا إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْفِرْقَةِ، فَإِنَّ فِيهِمَا يَهْلِكُ الرِّجَالُ وَتَسْفِكُ الدِّمَاءُ وَتَغْصِبُ الْأَمْوَالُ، إِنِّي لَمْ أَقَاتِلْ مَنْ لَمْ يِقَاتِلْنِي، وَلَا أَثْبَ عَلَى مَنْ لَا يَثْبَ عَلَيَّ" (عطوان، د.ت: 55).

ففي هذه الخطبة نرى أنّ النعمان قد استعمل أسلوب النهي وهو (لا تسارعوا إلى الفتنة)، فهو في هذا الأسلوب ينهي الناس عن الإسراع إلى الفتنة والفرقة؛ لأنّها سلوك يحمل تبعات سيئة، فالفتنة نتيجتها القتال وسفك الدماء، وكذلك نراه قد استعمل الألفاظ والأفعال الدالّة على الظلم والسيطرة فقال: (ولا أثب)، أي: إنّي لا أتسلط ولا أظلم إلاّ مَنْ ظلمني وأراد إيذائي .

فكان أسلوب النهي فعّالاً في إيصال ترغيب أو ترهيب الخطباء إلى جمهورهم؛ لما فيه من زجر وإلزام.

وفي خطبة لزياد بن أبيه قد استعمل فيها أسلوب النهي بصورة واضحة وهو يريد ترغيب الناس بطاعة الله والامتثال لأوامره في بداية الخطبة، ولتحقيق ذلك عمد إلى تحويل أسلوبه في نهاية الخطبة إلى التحذير والترهيب فقال في خطبته "أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ: فَاعْتَصِمُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ أَمْتِكُمْ، وَلَا تَخْتَلَفُوا، وَلَا تَفْرُقُوا، فَتَهْلِكُوا وَتَذَلُّوا وَتَقْتُلُوا، وَتَجْفُوا وَتَحْرَمُوا، إِنَّ أَحَاكَ مَنْ صَدَقَكَ، وَقَدْ أَعَذَرَ مَنْ أُنذَرَ" (عطوان، د.ت: 88).

ذكر الخطيب بعض الألفاظ الدالّة على النهي، مثل: (لا تختلفوا، ولا تفرقوا)، فهنا يريد منهم أن يعملوا بما أمر الله به من أوامره، وشرائع دينية، ففي بداية خطبته كان يرغبهم بأن يجتمعوا ولا يفتروا؛ لأنّ تشتت شملهم يؤدّي إلى فرقتهم، فإنّ التعاون من الأشياء التي حثّ الله عليها دائماً، فلا يمكن لقوم أن يعيشوا بسلام من دون تعاون وتكافؤ بينهم.

ونرى بعد ذلك لغة عبيد الله بن زياد قد تحوّلت إلى لغة تحذير، حينما قال: (وقد أعذَرَ مَنْ أُنذَرَ).

ونجد النهي بكثرة في خطب الحسن البصري، فقال في إحدى خطبه: "أَيُّهَا النَّاسُ الزَّمُوا رِحَالَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ مَوْلَاكُمْ، وَلَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى دُنْيَا زَانِلَةٍ، وَطَمَعٍ فِيهَا يَسِيرٌ، لَيْسَ لِأَهْلِهَا بَبَاقٍ، وَلَيْسَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِيمَا اكْتَسَبُوا بَرَاضٍ، إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ إِلَّا كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا

الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء, وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التقى" (عطوان، د.ت: 235).

ضمّن الحسن البصري في خطبته أسلوب النهي بقوله: (لا يقتل بعضكم بعضاً), فهو هنا ينهيهم عن القتال بينهم, فنراه أنه يريد ترهيباً دينياً, أي: يرهب الرعية من الابتعاد عن أوامر الله وعن طمعهم في الدنيا, فيبيّن لهم أنّ الدنيا هي دار زائلة, وعليهم أن لا ينغروا بها؛ لأنّها غير باقية, وأنّ يعملوا بما أمر الله به والابتعاد عمّا حرّم.

### 3 - أسلوب الاستفهام:

الاستفهام هو: "طلب الفهم تصوراً وتصديقاً" (الأنصاري، د.ت: 19) ، وقد يخرج الاستفهام عن المعنى الحقيقي إلى معانٍ بلاغيّة، قد يقتضيها السياق الذي يطرح فيه؛ كالإنكار والتقرير وغيرهما، فيسمّى الاستفهام- في هذه الحالة- بالاستفهام المجازي، فـ "ليس شيء يخرج عن بابهِ إلى غيره، إلا لأمرٍ، قد كان وهو على بابهِ ملاحظاً له، وهو على صدد من الهجوم عليه، وذلك أنّ المستفهم عن الشيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه في الاستفهام عن أشياء" (أبن جني، د.ت: 266-267) ؛ كالأستفهام الذي يعلم جوابه، ولكنّه يقصد معنى آخر يفهم من السياق، بعد التأمل في النصّ، والفيصل في ذلك السياق الذي يرد فيه الاستفهام (الأوسي، 1988: 417). وقد اهتمّ الخطباء في المعاني المجازية للاستفهام؛ إذ يخرج أسلوب الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية عدة) من طبيعة الإنسان لم يُرد التصريح بالمعنى الذي يقصده، فإنّه يتخذ للإشعار به أسلوباً غير مباشر وقد وظّف الخطباء أسلوب الاستفهام في خطبهم؛ ليشكّلوا بذلك سمة أردادوا من خلالها نقل ما يدور في أعماقهم، وما يختلج في نفوسهم من معانٍ، فاستعملوه من أجل الترغيب والترهيب (داود، بلا: 70).

والاستفهام بهذا المفهوم وهذا الانزياح الدلالي يعدّ ركيزة هامّة من أهمّ ركائز الخطاب الذي يستند إليه المرسل، للتأثير في المتلقّي، بعد أن يبيّن في خطبته ما يجذب المتلقّي، للتفكير والتدبر في مدى صحّة السؤال الذي يوجّه إليه، فأسلوب الاستفهام دليل على برهنة صحّة النكرة المقصودة وقوتها.

ويعدّ الاستفهام من أكثر أنواع الأساليب اللغويّة الفعّالة للتأثير في المتلقّي، وذلك إنّ طرح السؤال يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف، إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجوابٍ ما غير جواب المتكلّم (داود، بلا: 67)، ومن هنا تبرز علاقة غرض الاستفهام بمقاصد المتكلّم الخطابية التي من أهمّها تنبيه المتلقّي.

ولكن الاستفهام بأدواته المحددة قد يخرج عن معناه الحقيقي إلى معان ودلالات أخرى؛ لأغراض مجازية تفهم من السياق الخطابى وقرائن الأحوال وإيحاءات الخطاب وتأويلاته أهمها: (الإنكار التوبيخ، التهكم، التحقير، الوعيد، التهويل، الأمر، النهي، التعجب التنبيه الاستبطاء، التقرير الاستبعاد التعظيم) (المراعى، د.ت: 68-70)، وفائدة استعمال ألفاظ الاستفهام في غير معانيها الحقيقية هي أنها: "تعطى الكلام حيوية، وتزيد الإقناع والتأثير به، وذلك لما في هذا الاستعمال من إثارة للسامع، وجذب الانتباه، ومن إشراكه في التفكير، ليصل بنفسه إلى الجواب من دون أن يملى عليه" (عرفه، د.ت: 102).

تناول أغلب النحاة والبلاغيين أسلوب الاستفهام؛ لما يطلبه من حصول صور الشيء المستفهم عنه في الذهن، فيمنح النص الذي يرد فيه قيمة جمالية تثير ذهن المتلقي، وقد جعله ابن قتيبة أحد أقسام الكلام قائلاً: والكلام أربعة: أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة، ووبعضهم سماه استخباراً كابن فارس إذ قال: "الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المستخبر وهو بمعنى الاستفهام (داود، د.ت: 70).

وقد يأتي الاستفهام للوعيد، وهو إذا كان في تنبيه المخاطب إساءة مقتضية للزجر بالوعيد، والعلاقة بين الاستفهام والوعيد تتمثل في أن "الاستفهام ينبئ المخاطب على جزاء إساءة الأدب، وهذا يستلزم وعيده لا تصافه بإساءة الأدب، فهو مجاز مرسل من استعمال اسم الملزوم في اللازم، ولك أن تجعل الكلام من قبيل الكناية بأن تجعل اللفظ مستعملاً في الاستفهام لينتقل منه إلى الوعيد والغرض تصوير المتكلم وقد كتم غيظه وترجم عنه بلفت انتباه المخاطب إلى ما يقع حوله من تأديب غيره، فيفهم الوعيد والتخويف، فلا يجراً على مخالفته" (داود، د.ت: 70)، بل أن المتحدث يستصغر من شأن المخاطب ويستتكره؛ لأن الاستفهام الإنكاري تارة يكون تحقيراً، وتارة يكون توبيخياً واستحقار المخاطب وإهانته وفائدته تكمن في: "أن المتكلم عندما يلقي كلامه بصيغة الاستفهام، فإن ذلك يدل على الثقة التي تملأ نفسه؛ لأنه يلقي كلامه وهو يدرك أنه لو كان في كلامه أدنى ريب؛ لرده عليه قائله جواباً على استفهامه" (عباس، 1992: 199).

وما يمثل ذلك قول معاوية في الخطاب السياسي الآتي: "ويحك يا بن الزبير! كيف تصف نفسك بما وصفها والله مالك في القديم من رياسة، ولا في الحديث من سياسة، ولقد فُذناك وسُدناك قديماً وحديثاً، لا تستطيع لذلك إنكاراً، ولا عنه فراراً، وإن هؤلاء الخصوم ليعلمون أن قريشاً قد اجتمعت يوم الفجار على رياسة حرب بن أمية وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته،

غير منكرين لفضله، ولا طامعين في عزله، إن أمر أطاعوا، وإن قال أنصتوا فلم تزل فينا القيادة، وعزُّ الولاية... " (صفوت، دت: 162).

يقع الاستفهام الاستنكاري في قوله: (كيف تصف نفسك بما وصفتها) في صورة استفهامية لغوية تمهيدية بقوله: (ويحك يا بن الزبير!)؛ لتترجم هذه الصورة اللغوية انفعالات معاوية وأفكاره القمعية التي بمغزاها تتوالى وتتصاعد وتيرة التساؤل الاستفهامي الاستنكاري؛ لتصل إلى ذروتها باستسلام المخاطب ورضوخه لسياسة معاوية القمعية؛ لأنَّ هذا التساؤل الاستفهامي من الآليات اللغوية التوجيهية التي يستعملها المرسل (للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل، إذ يبدأ بالاستهلال التوبيخي المتمثل بوظيفته الانفعالية بقوله: (ويحك يا بن الزبير!)، فهذا القول يمهد تمهيداً منفرداً؛ لما يأتي بعده من أسلوب استفهامي استنكاري، وعليه فالقوة التسلطية في الخطاب تدلّ عليها الأساليب اللغوية المنبثقة من السلطوي وأفعاله القمعية المتسقة مع بنية الخطاب ولغته التعنيفية، إذ تجسدت والدلالات بحركة التهديد والتقريع في صيغ استفهامية.

ونجد كثيراً من الشخصيات البارزة في تلك الحقبة قد استعملت أسلوب الاستفهام في خطبها لتخويف ورعب الناس كما جاء في خطبة لعمر بن عبد العزيز فقال في إحدى خطبه: "... وإنما يفرح مَنْ آمن من أهوال يوم القيامة، فأما من لا يبرأ من كُلم إلا أصابه جرح من ناحية أخرى، فكيف يفرح؟ أعود بالله أن أمركم بما أنهى به نفسي فتخسر صفقتي، وتظهر عورتي، وتبدو مسكنتي، في يوم يبدو فيه الغني والفقير، والموازين منصوبة، والجوارح ناطقة، فلقد عُنيْتُ بأمرٍ لو عُنيت به النجوم لانكدت، ولو عُنيت به الجبال لذابت، أو الأرض لانفطرت" (صوت، دت: 196-197).

استعمل (كيف) التي هي للاستفهام لغرض بلاغي، وهو التعجب، إذ أخرج بها من السؤال عن الحال إلى التعجب، ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ التعجب ليس هو الهدف وحده، ولا الاستفهام وحده، بل يتضمن معانٍ ثانوية، نتيجة المزج بينهما إذ لا يخلو الاستفهام منه؛ لأنَّ مَنْ تعجب من شيء فهو بلسان الحائر سائل عن سببه، فهنا نرى فكرة الترهيب واضحة في نصِّ الخطبة فهو يريد أن يرهبهم من يوم القيامة وأهوالها.

وهناك خطبة لمحمّد بن الحنفية يرد بها على عبد الله بن الزبير استعمل فيها أسلوب الاستفهام، فقال في خطبته: "أينقص علي وأنتم حضور؟ إن علياً كان سهماً صادقاً، أحد مرامي الله على أعدائه، يقتلهم لكفرهم، ويهوعهم مآكلهم، فتقل عليهم، فرموه بصرفة الأباطيل وأنا معشر له

على نهج من أمره بنو الحسبة من الأنصار، فإن تكن لنا الأيام دولة ننشر عظامهم، ونحسر عن أجسادهم، والأبدان يومئذ بالية وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" (صفوت، د.ت: 81-82).

جاء الاستفهام: (أينتقص علي) بالهمزة لغرض بلاغي هو التعجب، فهنا خرج الاستفهام لغرض آخر، وجاء الاستفهام ليبيّن شيئاً غير واضح ألا وهو تعجب محمد بن الحنفية من انتقاص عبد الله بن الزبير من علي (v)، ومكانته، كما أن الاستفهام يحمل افتراضاً ضمناً هو بيان مكانة علياً (τ)، فالذي يسأل يعلم أن علياً كان سهماً على أعداء الله الكافرين، إذ جاء الاستفهام بشكل يمهد به لترهيب ابن الزبير الذي حاول النيل من الإمام علي (v)، وقد أكثر هذا الترهيب عندما نظر فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء / 227).

وإن من الشخصيات التي استعملت أسلوب الاستفهام بكثرة في خطبه هو الحجاج بن يوسف الثقفي عندما مرض فخطب خطبة قال فيها: "إن طائفة من أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق نزغ الشيطان بينهم، فقالوا: مات الحجاج، ومات الحجاج فمة؟ وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت؟ والله ما يسرنى إلا أموت، وأن لي الدنيا وما فيها، وما رأيت الله رضي بالتخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس" (صفوت، د.ت: 286).

فقد خرجت (هل) في هذا المقطع من معنى الاستفهام، إلى معنى التقرير، فخرج عن المعنى الحقيقي للأداة (هل)، وتضمّن إقراراً من المتكلم، بأنه لا يرجو الخير إلا بالموت وأنه لا يريد الخلود، وقد جاء باستفهامه حجة تتمثل في أن التخليد لم يرض به الله (Y) إلا لإبليس فأوضح الاستفهام بـ (هل) الرغبة بالموت وعدم الخلود الذي اختاره الله، وكأن الاستفهام هنا أراد به إخباراً للمتلقى، أي: إنه يريد أن يخبره بشيء معين، فقد أعطى الاستفهام الخارج إلى معنى التقرير امكانية مشاركة المخاطب في الأمر، وكأنه يريد تصديقاً منهم لما قاله (السامرائي، 1989: 618).

وكذلك جاء في خطبة هشام بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله وهو يقوم بترهيب الرعية وتخويفهم فاستعمل أسلوب الاستفهام بقوله: "يا ابن أم خالد، قد بلغني أنك تقول: ما ولاية العراق لي بشرف، فيا ابن الأخناء (1) كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً، وأنت من بجيلة القليلة الذليلة؟ أما والله إنني لأظن أن أول من يأتيك صغير من قريش يشد يديك إلى عنقك". (صفوت، د.ت: 355)

(1) اللخناء: الشيء الذي فسد وله رائحة كريهة.

اعتمد الخطيب على الأسلوب الاستفهامي الاستنكاري لما له من دورٍ فعّالٍ وتأثيرٍ كبيرٍ في إنتاج هذا الخطاب السياسي الذي يدلّ على وجود سلطة مستبدة تقف خلفه وتمارس أفعالها التسلطية عبر لغة خطابية عنيفة متمثلة بصيغة استفهامية هادفة (كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً، وأنت من بجيلة القليلة الذليلة؟)، ليبين هشام بن عبد الملك بوساطة هذا الاستفهام الذي جاء بمعنى الاستنكار والتحقير من ذات خالد بن عبد الله والتقليل من شأنه، إذ يمثّل هذا الأسلوب الاستفهامي التّوبيخيّ صورة عاكسة لهوية الخطاب وتوجهاته شكلاً ومضموناً، فقد استعمل لغة التهديد عن طريق خلق لغة عنف محدّدة بتركيب استفهامي استنكاري ذات أبعاد عديدة؛ ليرغم بذلك المخاطب على التفاعل مع مضامين هذا الخطاب، وتطلعاته الهادفة إلى التسلط والتحكم بمصير الفرد ووجوده، فهو كانت غايته من هذا الاستفهام هو تحقير المخاطب والنيل منه، وهو هنا يخاطب خالد بن عبد الله بصيغ استفهامية تهكمية فقال: (وأنت من بجيلة القليلة الذليلة؟)، وكذلك (أما والله أنّي لا أظن أنّ أول من يأتيك صغير من قريش يشدّ يدك إلى عنقك)، فهنا يبين كيف تمارس السلطة العنف والقمع من خلال تعاملها مع الآخر، فأدّى الاستفهام فعالية في ترهيب الآخر وبحسب ما أراد له الخطباء.

أسلوب القسم:

يحتلّ أسلوب القسم مكانة عالية في اللغة العربيّة بشكل عام والنحو بشكل خاص؛ إذ يعرف أسلوب القسم في اللغة على أنّه وسيلة من وسائل توكيد الكلام، وإبراز معانيه، وتوضيح مقاصد المتكلم، إذ يستعمل أسلوب القسم لإزالة الشك وإبعاد الإنكار، كما يعدّ القسم من أساليب التأكيد التي تقوي الشيء في النفس.

والقسم من أساليب التوكيد، وهو جملة فعلية أو اسمية تؤكّد بها جملة خبرية موجبة أو منفية، ويستعمل فيها ألفاظ اليمين، ويُعرّف القسم بأنّه جملة خبرية يؤكّد بها جملة أخرى، والغاية من القسم توكيد ما يقسم به القائل من نفي أو إثبات، وهو: (يمين يقسم بها الحالف ليؤكّد بها شيئاً يُخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكّد بها جملة أخرى، فالجملة المؤكّدة هي المقسّم عليه، والجملة المؤكّدة هي القسم، والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم هو المقسّم به) (ابن سيده، 1971: 110).

ويعدّ القسم صنفاً من صنوف الفعل الكلامي الذي يتوجّه القول فيه توجيهاً يقينياً مثبتاً، يلجأ إليه المتكلم لتوكيد كلامه، وإثباته مقيماً الحجة، على المخاطب في الوقت نفسه، ويشترط في القسم أن

يكون باسمٍ معظم، كما أنَّ القسم يجب أن يقع ضمن المنظومة الثقافية التي يدور في فلكها المتكلم والمتلقّي المشكلة من عوالم إيمانية وعرفية مسلم بها (السيوطي، 1975: 250).

والغاية من أسلوب القسم تحقيق غرض تواصلية عن طريق إثبات الحجّة وتأكيدا في نفس المتلقّي، ليتحقّق التصديق والوثوق، بما يريده المتكلم (جبار، د.ت: 153).

وللقسم قوّة فعّالة لا تقف عند حدود الطاقة التعبيريّة، وإنّما تنفتح على آفاق دلاليّة واسعة، لمحاولة المتكلم إقناع الخصم بصدق خطابه بأعلى درجات التأكيد، فالقسم يمثّل طاقة دلاليّة بيتّ من خلالها قدراته الإقناعيّة؛ لأنّ للقسم قوّة تعمل على تحقيق قيمة الكلام وترسيخها في ذهن المتلقّي سواء أكانت هذه القيمة متحقّقة أم كانت متصورة كما تقوم الملفوظات المؤكّدة بالقسم، على صورتين متعارضتين، فيحاول المتكلم أن يضع المتلقّي أمام مفاضلة فكريّة قائمة على التوكيد بالقسم بما يملكه من مؤثّرات؛ ليحقق بذلك إقناع المتلقّي (بن خراف، 2010: 251).

ومن نماذج أسلوب القسم ما ورد في خطبة لمعاوية: "فإن لم تجدوني خيركم، فأبّي خير لكم ولاية، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دبرٌ أذني، وتحت قدمي" (صفوت، د.ت: 172-173).

ورد القسم في المقطع (والله لا أحمل السيف على من لا سيف له) من الجملة الخبرية المنفية، وقد أراد المتكلم من خلاله شدّ انتباه المتلقّي وتسليمه لما يريد، فيشترك النفي مع القسم ويريد به الخطيب الإقناع، ولذا يعملان على توجيه القول، وإلزام المتلقّي به، ونلاحظ أنّ قوّة القسم التوجيهية هنا قد تناسبت وموضوع الخطبة، فقد قال معاوية هذه الخطبة عندما قدم إلى المدينة، موجهاً كلامه لأهلها في سياق تحذيري لهم يتجلّى فيه الترهيب بوضوح عالٍ من انتشار الفتنة بينهم.

وما جاء في خطبة زياد بن أبيه نلاحظ فيها كيف استعمل أسلوب القسم لترهيب الناس وتخويفهم فقال في خطبته: "استوصوا بثلاثة منكم خيراً: الشريف والعالم والشيخ، فوالله لا يأتيني شيخ بشاب، قد استخف به إلا أوجعته، ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به، إلا نكلت به، ولا يأتيني شريف بوضيع، استخف به إلا انتقم له منه" (صفوت، د.ت: 263).

في قوله: "فوالله لا يأتيني شيخ بشاب، قد استخف به إلا أوجعته" ورد القسم مقترناً بالنفي ليؤكّد نفيه عن نفسه الاستخفاف بكلّ من الشريف والشيخ والعالم، وقدّم الأدلّة على ما قال بأنّه يوجع الشاب الذي يستخف بالشيخ، وينكل بالجاهل الذي يستخف بالعالم، وينتقم من الوضيع الذي استخف من الشريف فالتحذير الوارد في السياق الخطابي قائم على أسلوب ترهيب.

وجاء في خطبة مسلم بن عقبة<sup>(2)</sup> يؤنب أهل الشام فاستعمل أسلوب القسم بصورة واضحة لترهيب الرعية وتخويفهم فقال في خطبته: "يا أهل الشام: أهدأ القتال، قتال قوم يريدون أن يدفعوا به عن دينهم؟ وأن يُعزوا به نصر إمامهم؟ قَبَّحَ اللهُ قتالكم منذ اليوم، ما أوجعه لقلبي، وأغيطه لنفسي! أما والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تُحرموا العطاء، وأن تَجْمَرُوا في أقاصي الثغور" (صفوت، دبت: 145).

ورد القسم المنفي في قوله: "أما والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تُحرموا العطاء، وأن تَجْمَرُوا في أقاصي الثغور"، وقد حمل القسم المنفي دلالة ضمنية، تتمثل في تأنيب أهل الشام، ويهددهم بالحرمان من العطاء، وأن يجمروا في أقاصي الثغور، إذ غلب على سياق خطابه الترهيب التخويفي السلطوي المقيت.

وما يمثل ذلك قول معاوية في الخطاب السلطوي الآتي: "يا معشر الأنصار، بِمَ تطلبون ما قبلي؟ فو الله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً مع عليّ، ولقد فُلْتُم حَدَى يوم صفين، حتى رأيت المنيا تَطَلَّى في أسننكم، وهجوتموني في أسلافي بأشد من وقع الأسننة، حتى إذا أقام الله منا ما حاولتم ميله قلتم ارغ فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، هيهات ياأبي الحقير الغدرة" (صفوت، دبت: 125).

يستهلّ الحاكم معاوية خطابه السياسيّ بأسلوبٍ ندائيّ (يا معشر الأنصار) مروراً بالاستفهام (بِمَ تطلبون ما قبلي؟)، ثمّ جاء بالقسم الدالّ دلالة واضحة على التأييب والوعيد، فو الله لقد كنتم قليلاً معي، كثيراً مع عليّ، ففي هذه الصيغ دلالات واضحة تشير إلى الموت الذي كان يترقّب السلطوي معاوية؛ فنلاحظ كيف بيّن معاوية وقوفهم بجانب الإمام عليّ (v) وتخلّيه عنده، وبين إشهارهم السيوف والرماح بوجهه، فقسم معاوية بأنّه سوف ينزل بهم أشدّ العقوبات بقوله: (فو الله)، إذ توسّل معاوية بالقسم لترهيب الأنصار وقمعهم وتخويفهم لموقفهم المناصر للإمام عليّ (v).

وفي خطبة للمختار بن أبي عبيد استعمل فيها أسلوب القسم؛ لترهيبهم ووعيدهم، فقال: "أما والذي أنزل القرآن، وبين الفرقان، وشرع الأديان، وكره العصيان لاقتلن البغاة من أزد عمان، ومذحج وهمدان، ونهد وخولان، وبكر وهزان، وثعل ونبهان، وعبس وذبيان، وقيس غيلان" (صفوت، دبت: 67).

(2) مسلم بن عقبة: هو قائد الجيش الذي ارسله يزيد الى موقعة الحرة .

ففي هذه الخطبة استهلّ المختار خطبته بأسلوب القسم عندما قال: (أما والذي أنزل القرآن), فقسم بربّ العباد الذي أنزل القرآن, مكرراً إيّاه خارجاً به إلى أسلوب الترهيب والوعيد, لأنّه يريد أن يرهبهم ويهدّدهم بالقتل والنيل منهم.

ففرى كثيراً من الخطب التي جاءت في العصر الأموي تحتوي على أسلوب القسم سواء أكان القسم لغرض الترغيب أم لغرض الترهيب, ومنها خطبة لزياد بن أبيه إلى أهل الكوفة قال فيها: "يا أهل الكوفة جمتم (3) فأشترتم (4) وأمنت فاجترأتم. وإنّ عواقب البغي شرّ العواقب. والله يأهل الكوفة, لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم, فإنه عندي عتيد" (عطوان, دت: 47).

ففرى كيف استعمل زياد بن أبيه أسلوب النداء في بداية الخطبة فقال (يا أهل الكوفة), فهو هنا استعمل أسلوب النداء ولكن خرج النداء هنا إلى غرض الوعيد والتهديد, وبعد ذلك استعمل أسلوب القسم, فقال: (والله), فهذا أراد أن يؤكّد بأنّه سوف ينزل العقاب بهم إن لم ينقادوا لأوامره فهذا القسم جاء للترهيب والوعيد.

وضمّن الحجاج أسلوب القسم في خطبة له في ترهيب أهل العراق قال فيها: "يا أهل العراق: إنّه والله ما بيني وبينكم من هواده ولا بلهنيه ولا رفاهية ولا دبغ على التحلّة (5), وما مثلي ومثلكم إلا كمثل رجل كانت في بيته حية تخرج له كل يوم ديناراً تضعه على باب جرها" (عطوان, دت: 73-74).

استعمل الحجاج أسلوب القسم عندما قال: (إنّه والله ما بيني وبينكم من هواده ولا بلهنيه), فهذا قسم بربّ العباد أنّه لا توجد هدنة بينه وبين أهل العراق, ففرى أنّ الترهيب قد جاء في طيات خطبته, فهو هنا يرهبهم ويرعبهم ويبين لهم أنّه لا يوجد أمل بتحسين العلاقة بينهم, وأنّه سوف يعاملهم بأشدّ معاملة.

نلاحظ ممّا تقدّم أنّ أسلوب القسم جاء لإسناد فكرة الترهيب في الأعم الأغلب في خطب العصر الأموي, إمّا لتخويف الناس من العصيان لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهي, وإمّا لقمع المعارضين للحكم الأموي.

(3) جم القوم : استراحوا وكثروا.

(4) اشترتم : مرحتم وبطرتهم

(5) التحلّيء : قشر يبقى على الاهاب من اللحم فيمنع الدباغ ان ينال الاهاب حتى يقشر عنه.

### المصادر والمراجع

- أساليب الإنشاء الطلبيّ، فاطمة كريم داود، جامعة واسط، كلية التربية.
- أساليب الحجاج في خطب معركة الطّف، الزّبيدي، جامعة الكوفة كلية التربية للبنات، 2019.
- أساليب الطلب عند النحاة والبلاغيين، الأوسي، قيس، إسماعيل، بيت الحكمة، بغداد، 1988.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس إسماعيل الأوسي.
- وأساليب بلاغية، الفصاحة البلاغة – المعاني.
- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، الخطيب، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1414، 3هـ-1993م.
- البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، علي أمين مصطفى الجارم، دار المعارف، مصر، (د-ط)، (د.ت).
- بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي، خديجة محفوضي، تحقيق صالح خديش، جامعة منتوري، الجزائر، 2007.
- التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، جميل حمداوي، ط1، الألوكة.
- جمره خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، 236/2.
- جمره الخطب الاموية، 1,88.
- جمره رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، 2/355.
- الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قنينة دراسة تداوليّة، رسالة دكتوراه، ابتسام بن خراف، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010م.
- رسائل الإمام عليّ في نهج البلاغة دراسة حجاجيّة، رائد مجيد جبار، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، (د-ط)، (د-ت).
- سنن الترمذي، للإمام ابي عيسى محم بن عيسى بن الترمذي، تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط1، 2014.

- علم المعاني البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر، ط1، 1992.
- علوم البلاغة، البيان والمعاني والبدیع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت
- في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ط1، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002م.
- كتاب الطراز المتضمن الأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، مطبعة المقترف، مصر 1914.
- المخصص، ابن سيده، تحقيق محمد نبيل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.
- معاني النحو، فاضل السامرائي، بيت الحكمة، الموصل، (د-ط)، 1989م.
- معترك الغفران في إعجاز القرآن، السيوطي، أبو الفضل جلال الدين، عبد الرحمن، تحقيق محمد علي الجاوي، القاهرة، 1975م.
- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين، حققه وضبطه: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد علي صبحي، القاهرة، (د-ت).
- مفتاح العلوم، السكاكي.
- مكارم الاخلاق، الشيخ رضي الدين الطبرسي، ط1، مطبعة العامرة المليجية، 1331هـ.
- من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفه.